جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي
العتبة الحسينية المقدسة

المحقق
الهاشمي

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث عن حوزة الحلة العلمية
معتمدة لأغراض الترقية العلمية

تصدر عن
مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية

السنة الرابعة/ المجلد الرابع
العدد السابع ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

٧

استراتيجيّات سيف الدولة صَدَقة بن منصور

في نشر الثقافة الشيعيّة في الحلّة والعالم الإسلامي

أ . م .د . حسين مَرعشي
جامعة شيراز / كليّة الآداب والعُلوم الإنسانيّة

أ . م .د . سُليمان حَيدري
جامعة شيراز / كليّة الآداب والعُلوم الإنسانيّة

بعد سقوط حكم بني بويه(الدولة البويهية) وسيطرة الدولة السلجوقية على العراق راحتِ الضغوط تزداد على الشيعة، وأصبحت مناطقهم معرضًا للهجوم والاجتياح، واضطر بعضُهم للهجرة إلى مناطق أخرى كالنجف الأشرف .

كانت حوزة النجف فعالة إلى نهاية عمر أبي نصر الطوسي وأصبحت في حالةٍ مترديةٍ يُرثى لها من بعده.

وفي هذا الوقت الذي كان جميع العلماء وطلاب العلم الشيعة في خضم البحث عن مكان مناسب قام الأمير صدقة بن منصور بتأمين ساحة مناسبة لتوسيع الأنشطة العلمية الشيعية باختياره مدينة الحلة عاصمة لدولة آل مزيد فأقبل إليها طلاب العلم من جميع بقع العالم الإسلامي.

هذا المخطط الذي اتبعه الأمير في جذب العلماء إلى هذه المدينة كان مهمًّا جدًّا وقد أدى إلى تحضير أرضية لازدهار الحوزة العلمية في الحلة في القرن السادس

إن هذا البحث إلى جانب التحليل والاستناد إلى المصادر ، يصفُ منهجية صدقة بن منصور في نَشْرِ الثقافة الشيعية في الحلة والعالم الإسلاميّ .

الكلمات المفتاحية: الحلة، صدقة، الثقافة الشيعية، أبو نصر الطوسي، آل مزيد

Strategies of Saiful Dawla Sadaqa ibn Mansour In spreading the Shiite Culture in Hilla City and the Islamic World

Asst. Prof. Dr. Hussein Marashi, Shiraz University / Faculty of Arts and Humanities

Asst. Prof. Dr. Sulaiman Haidari, University of Shiraz / Faculty of Arts and Humanities

After the fall of the rule of Bani Buyid (the state of Buyids) and the control over the Seljuk state on Iraq, the pressure on Shiites increased. Moreover, their areas became vulnerable to attacks and invasions that forced some of them to migrate to other areas such as al-Najaf al-Ashraf.

The Hawza (Religious Seminary) of Najaf was effective until the end of the era of Sheikh al-Tusi and became in a deplorable state afterwards.

At that time, when all the shia scholars and students were in the midst of searching for a suitable place, Prince Sadaqa ibn Mansour provided a suitable place for the expansion of Shiites' scientific activities by choosing the city of Hilla as the capital of the state of Aal-Mazid.

This plan -followed by the Prince in attracting scientists to this city- was very important and led to preparing the ground for the prosperity of the scientific estate in Hilla in the sixth Hijri century.

This research, along with the textual criticism and reference to library information sources, describes the role of Sadaqa ibn Mansour in spreading and expanding the Shiites' culture in Hilla and the Islamic world.

Key words:

Hilla, Sadaqa, Shia culture, Tusi, Al-Mazid

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

مع وصول أحمد بن بُوَيه سنة ٣٣٤ هـ إلى بغداد، تغيّر الوضع السياسي والثقافي في العراق، وتراجع الضغط على الشيعة، وانتشرت الشعائر الدينيَّة الشيعيَّة، مثل: عاشوراء والاحتفال بذكرى عيد الغدير، وأصبحتْ بغداد- التي لم يكن فيها مكان للشيعة وفُقهائها بين سَنَتَي ٣٣٥ هـ و ٤٤٧ هـ- مركزًا واسعًا للثقافة والتعليم الشيعيَّين، ممّا أثمر عن نوابغ، مثل: الشيخ المفيد (٣٣٨هـ -٤١٣ هـ) والشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) والشيخ الطوسي (٣٨٥ -٤٦٠ هـ) والعشرات من الفُقهاء والمتكلّمين؛ والمئات من الكتب المهمّة والخالدة، مثل: المقنعة والانتصار والذريعة إلى أصول الشريعة والتهذيب والاستبصار.

بعد انهيار حكومة آل بُوَيه في العراق وتغلّب طُغرل السلجوقي على آخر أمير بُوَيهي في بغداد سنة ٤٤٧ هـ، أصبح المركز العلمي ومراكز التجمع الشيعيّة في بغداد في خطر ، فَحُظِرَتْ شَعائرهم الدينيَّة بذريعة البدعة، وقام عدد من سكّان بغداد بدعم من السلطان السلجوقي والخليفة العباسي، بالهجوم على الأحياء الشيعيّة في المدينة، بما في ذلك الكرخ، وأحرقوا المكتبات الشيعيّة الشهيرة، ومنها مكتبة شابور بن أردشير ومكتبة الشريف المرتضى[1]، وفي ظلّ هذه الظروف، ضاق مجال النشاط وتقلّصت فعّاليّات العلماء الشيعة وترك بعضهم بغداد، بمن فيهم الشيخ الطوسي، قاصدًا النجف الأشرف.

ازدهرت مدينة النجف الأشرف بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها، وأصبحت

الحــوزة العلميّــة في هذه المدينة واحــدة من أهمّ مراكز الفكــر في العالم الإســلامي. بعد رحيل الشيخ الطوســي، واصل ابنُه أبو علي الطوسي طريقه وحاول مواصلة الحركة العلميّة لمدرســة النجف. فقد تولَّى أبو علي الطوسي بعــد والده زعامة حوزة النجف، ومنــع المدينة من الركود ومع وفاة أبي نصر الطوســي فقدت الحوزة العلميّة في هذه المدينــة رونقها، فغادر طالبو المعرفة الشــيعةُ النجفَ إلى مناطق أخرى، مثل الحلّة والتي كان فيها سباق الأنشطة العلميّة متوافرًا عند أحد أمراء المَزيَديَّة باســم صدقة بن منصور ، لدرجة أنّه كان قادرًا على جَعْلِ مدينة الحلّة ملاذًا آمنًا للشيعة.

علــى الرغم من الدراســات العديدة التي أجريت على الحــوزة العلميّة في الحلّة، إلَّا أنَّه لم يتمّ إجراء بحوث مســتقلَّة حتَّى الآن على سيف الدولة صدقة ابــن منصور الذي حكم الإمارة مــن (٤٧٩-٥٠١ هـ) ودوره في تنمية الثقافة الشيعيّة.

ويهــدفُ هــذا البحثُ إلــى تحليل وتجميــع المعلومات باســتعمال المراجع والمصادر والأبحاث التاريخيّة، للإجابة عن سؤالَين رئيسين، هما:

١. ما تأثير اختيار الحلّة عاصمةً؟ وما دورُ موقع هذه المدينة الجغرافي في تعزيز الأنشطة الشيعيّة للأمير سيف الدولة صدقة؟

٢. ما اســتراتيجيّات الأمير ســيف الدولة صدقة بن منصور لتعزيز الثقافة الشيعيّة؟

للإجابة عن هذَين السؤالَين، سنقوم أوّلًا بإشارة موجَزة لسلطة سيف الدولة صدقة في حكومة آل مزيد الشــيعيّة، إلــى أن نتطرّق، في الأقسام التالية، لأهمّ استراتيجيّات الأمير سيف الدولة في نشر الثقافة الشيعيّة.

سيف الدولة صدقة بن منصور وبلوغه السلطة في عهد حكومة آل مزيد

في أثناء حكم السلاجقة المتعصّبين والسطحيّين في رقعة كبيرة من أنحاء العالم الإسلامي، وفي ظروف منع نشاط الشيعة بدعم من الخليفة العباسي في بغداد وبعض أجزاء أخرى من العالم الإسلامي مثل إيران مِن ممارسة دورهم العلميّ، وصل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور إلى السلطة، ولم تكن عاصمته الحلّة مَلاذًا للشيعة والأنشطة الشيعيَة فحسب، لكن الإجراءات التي قام بها والجوَّ الملائم الذي أوجدَه للأنشطة الشيعيّة كانت وراء إنشاء المدرسة الشيعيّة في الحلّة، ونتج عنها فسح المجال أمام علماء الشيعة لنشر التشيّع في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

يرتبط الأمير صدقة بن منصور بإحدى أهمِّ عشائر بني أسد بن خزيمة وهي عشيرة بني مزيد ، وقد عاش بنو أسد في شبه الجزيرة العربية في صحراء نجد وتهامة، ومع بداية ظهور الإسلام وفي القرن التاسع الهجري، جاء بعض أفراد القبيلة، ولاسيما أولئك الذين عاشوا في مكّة المكرّمة، إلى النبيّ صلى الله عليه وآله واعتنقوا الإسلام وشاركوا بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله [٢] في فتوحات العراق، وعلى وجه الخصوص القادسيّة، وأظهروا شجاعة كبيرة[٣] واستقرّوا في العراق، ولاسيما حول الكوفة والبصرة[٤] ، وذهبت مجموعات منهم إلى الشام[٥] بعد بناء الكوفة، وقد كانت بنو أسد من القبائل الأولى التي سكنت في أحد أسباع تلك المدينة، جنبًا إلى جنب مع قبيلة غطفان والعديد من القبائل الأخرى[٦] . اعتنق مُعظم سكّان الكوفة التشيّع، ولأنَّ هذه المدينة كانت عاصمة خلافة الإمام علي عليه السلام، فقد كان ذلك من العوامل المؤثّرة في هذا الموضوع. ويبدو أنَّ التشيّع لم يكن منتشرًا بين كبار بني أسد مع بداية خلافة الإمام علي عليه السلام [٧] ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان جزءٌ كبيرٌ من الشيعة

البارزين من قبيلة بني أسد مُوالين له.

قام بنو أسد بدفن جُثمان الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بعد حادثة كربلاء، وكانت هذه التضحية سبب شهرتهم لدى الشِّيعة[٨].

في حدود القرن الثالث الهجري، استقرّت مجموعة كبيرة من قبائل بني أسد في مدينة حلب وما حولها[٩] ، لكن منطقة بلاد ما بين النهرين كانت لا تزال موطنها الرئيس، على الرغم من أنّها كانت مقسّمة إلى قبائل أخرى وبعضها جاء إلى إيران. كانت عشيرة بني مزيد العشيرة الأكثر أهمّيّة من عشائر بني أسد، وقد استقرّت في مناطق بين واسط والبصرة والأهواز في القرن الرابع الهجري[١٠] ، وحصلت على ثقة حكومة آل بُوَيه بالتدريج، إذ قام أبو محمَّد المهلَّبي، وزير معزّ الدولة أبي الحسين ابن بُوَيه بمنح منطقة سورا في الفرات الأوسط لعشيرة مزيد[١١] .

ليس هناك الكثير من المعلومات بشأنِ أنشطة مزيد وعشيرته، وذُكر فقط أنّ واجبه كان منع غزو القبائل البدويّة حول بغداد. على الرغم من أنّ أوّل شخص مذكور في عشيرة "آل مزيد" هو مزيد، لكن المؤسِّسَ الحقيقيّ للعشيرة هو علي بن مزيد، الذي استغلّ ضعف سلطة الدولة البويهيّة وغيابه الطويل في العراق، وفي سنة ٤٠٣ هـ أسَّس دولةَ بني مزيد في النيل[١٢].

باستثناء علي بن مزيد الذي حكم من سنة ٤٠٣ – ٤٠٨ هـ ، وحصل من الخليفة العبّاسي وسلطان الدولة البُوَيهي على لقب "سندس الدولة" ، وقبل وصول أشهَر أمراء هذه الأسرة وهو صدقة بن منصور، فقد حكم أميران اثنان، هما : نور الله دبيس بن علي (٤٠٨–٤٧٤ هـ) ومنصور بن دبيس (٤٧٤–٤٧٩ هـ) لمدّة ٧١ سنة.

سِيَاسيًّا، كان عهد دبيس مهمًّا من عدّة نَواحٍ. بادئ ذي بدء، في هذا

العهد انتهى حُكم آل بُوَيه في العراق وحلّ السلاجقة محلّهم. في الأيّام الأولى من الحكم، لم يكن لدى السلاجقة مصلحة في التدخّل المباشر في الشؤون القبليّة العربيّة في منطقة الفرات، وكان الحفاظ على أمن المنطقة يقتصر على أمراء آل مزيد.

ثانيًا، كان السلاجقة وخلفاء الدولة العباسية من السنّة، وكان أمراء آل مزيد من الشيعة، الأمر الذي أثّر في التطوُّرات السياسيَّة التي يمكن تتبعها على سبيل المثال في قضيّة بساسيري[١٣] الذي استغلّ غياب طُغرل السلجوقي في بغداد، فاحتفظ بالسلطة لمدّة سنة وأربعة أشهُر، وخلالها انضمّ إليه دبيس، وفي الحرب التي نشبت بين السلاجقة وبساسيري، هزم الأخير، فتعرَّضَ لغضب السلطان السلجوقي، ولم يتمّ العفو عنه إلّا "بشفاعة هَزار أَسْب من بني بنكير"[١٤]. ولم تكن هذه هي المرّة الأولى التي تدخّلَ فيها دبيس في المسائل المتعلّقة بالشيعة، ففي ٤٤٣هـ اتّخذ موقفًا تجاه التعرّض للضريح المقدّس في الكاظمية. فقد حدثت فتنة بين الشيعة والسنة في بغداد، فَحُرِقَ الضَّريحُ المقدَّس في الكاظميّة وعدد من قبور الأمراء البُوَيهيّين. بسبب هذا الأمر، غضب الأمير المزيدي كثيرًا وأمر بحذف اسم الخليفة من الخطب في منطقته. وذكرَ ابن الأثير أنَّ هذا العمل الذي قام به دبيس كان مذمومًا. ورَدًّا على مبعوث أرسله الخليفة، قال: "إنّ أهل ولايته هم من الشيعة وأنّه لا يستطيع أن يفعل أيّ شيء خلافًا لهم". ويضيف ابن الأثير قائلًا: إنّ الخليفة لم يكن قادرًا على الحيلولة دون ما قام به السفهاء تجاه الضريح، فأعاد دبيس اسم الخليفة إلى الخطبة في منطقته[١٥].

بعد دبيس، وصل ابنه منصور إلى السلطة، ولم تشهد مدةُ حُكمه القصيرةُ التي استمرّت من ٤٧٤ إلى ٤٧٩ هـ الكثير من الأحداث والتغييرات، وانقضت

بهـدوء، وبعد منصور وصل الأمير المزيدي الأقـوى، وهو صدقة بن منصور، إلى السلطة، وفي ذاك الوقت، ازدهرت النشاطاتُ الثقافيّةُ والعلميّة للأسرة، ووفّر منصّة للثقافة الشيعيّة أثّرت في العالم الإسلامي حتَّى قُرون لاحقة.

وصل صدقة إلى السلطة بعد وفاة والده سنة ٤٧٩م ومع بداية حُكمه أرسل له الخليفة العبّاسـي نقيـب العلويّين أبا الغنائم لتعزيته واعترف به السـلطان السلجوقي خليفة لوالده ومنحه كافّة متصرّفات والده في أطراف الفرات[١٦].

رافقت مدة حكم صدقة بن منصور التي امتدّت لاثنين وعشـرين سـنةً تقلّبات سياسـيّة، ويمكن تقسيم حياته السياسيّة وأنشـطته إلى مدَّتَين في عهد الحكومة المزيدية:

١. حُكم صدقة من البداية حتّى اختيار الحلّة عاصمة (٤٧٩-٤٩٥ هـ)

تزامنـت بداية حكم صدقة مع حكومة ملكشـاه بن ألب أرسـلان في دولة السـلاجقة ، وكان سلطانًا قويًّا ، وفي أثناء حكمه ، اتُّخِذَتْ خطواتٌ في العراق لم تتخذ من قبل[١٧]، إذْ كان يتمتّع بقدر كبير من السـلطة على الحكومـات المحلّيّة في العراق بما فيها حكومة بني مزيد، ولم تُتَح الفرصةُ لصدقة كثيرًا لممارسـة نشـاطاته في عهـده. وفضلًا عن ذلـك كان وزير ملكشاه المتعصّب، نظام الملك، يزيد من الوضع سوءًا ، فلم يكن يتردَّدْ في محاولة منع الشيعة من فعل أيّ شيء[١٨] .

لقد أدّت وفاة ملكشاه في ٤٨٥ هـ إلى إنهاء أيَّام سعادة السلاجقة الكبار. وفي وقت لاحق، وبدلًا من الحكم السيادي للسلطان ملكشاه، حدثت فتنة بين مختلف الأمراء الشـباب وعديمي الخبرة جنبًا إلى جنب مع أمّهاتهم الأمر الذي ضيّق الخناق على أفراد مثل نظام الملك، الذي اتّبع سياسـات السلاجقة العنيفة تجاه الشيعة[١٩] .

في مثل هذه الظروف، أُتيحت الفرصة لأشخاص مثل صدقة للتدخُّل في النزاع من أجل خلافة ملكشاه وتوسيع مجال حكم الدولة المزيدية. في بداية نزاع خلفاء ملكشاه، وقف صدقة إلى جانب بركيارق وفي شعبان سنة ٤٨٦ هـ زاره في نصيبين وذهب معه إلى بغداد[٢٠] ، وفي أثناء حضور السلطان في بغداد، لم يكن منزله ملاذًا للمظلومين فحسب، بل قام بقمع قبائل بني خفاجة المتمرّدة ومنعهم من غزو الأماكن المقدسّة الشيعيّة في مُدن مثل كربلاء[٢١] ، وكذلك منع الصراعات الشيعيّة والسنّيّة في بغداد.

لم يدم التحالف بين صدقة وبركيارق طويلًا، على الرغم من مرافقته له بمعارك عدّة، بما في ذلك معركة سفيد رُود، فقد تخلّى عن دعم بركيارق في سنة ٤٩٤هـ، وخطب في المناطق الواقعة تحت حكمه باسم السلطان محمد. وقد شرح ابن الأثير سبب الانفصال بين صدقة وبركيارق، مُبيِّنًا أنَّ السَّببَ كانَ في المراسلات التي حدثت بين أبي الحسن الدهستاني وزير بركيارق وصدقة. طلب الوزير من صدقة إرسال مبلغ ألف دينار لخزينة السلطان، وأنّه إذا لم يلتزم بهذا الأمر فإنَّ جيوشَ السلاجقة ستدخل أراضي آل مزيد وستأخذ أموالهم وممتلكاتهم. وخلال هذه المراسلات بين الوزير وصدقة، جاء بركيارق إلى بغداد وطلب من الأمير المزيدي زيارته لكنّ صدقة رفض، فذهب أحد أمراء بركيارق إلى صدقة وشجّعه على زيارة بركيارق، فقبل صدقة شرط تسليم الوزير أبي المحاسن الدهستاني، لكن السلطان رفض.

وأمر صدقة بالخطبة باسم محمّد تبر ، وبعد هذه التحوّلات أصبح الجوّ ملائمًا لدخول محمّد تبر إلى بغداد ، بعد أنْ غادرها بركيارق ، وقدِ اغتنمَ صدقةُ الفرصة فزار السلطان محمَّدًا سنة ٤٩٥هـ وذهب معه إلى بغداد[٢٢]

وفـي العام نفسـه اختار الحلّة مركزًا رسـميًّا لإمارة آل مزيد ، وتسـارعت فعّالياته بعد اختيار الحلّة عاصمة لإمارته.

٢. استراتيجيّات صدقة في الفعّاليّات الشيعيّة (منذ تحوّل الحلّة إلى عاصمة وحتّى شهادته)

كمـا ذُكِر في مقدّمة هذا البحث، حينما ضُيِّقَ الخناقُ على الشـيعة مع سـيادة السلاجقة المتعصّبين ودعم الخلفاء العباسيّين، وصل أمير مزيدي إلى السـلطة لم يسـتعمل نفوذه في بغداد لتخفيف الضغط على الشيعة فحسب، ولكنّه قـام باختيار الحلّة عاصمة، فوفّر مَلجَأً للشـيعة لممارسـة فعاليَّاتهم بأمان، وكانت اسـتراتيجيّاته في نهاية القرن السـادس مؤثّـرة على العالم الإسلامي حتّى أواخر القرن التاسـع الهجري وحتّى تأسيس الأسرة الصفَويّة الشيعيّة، وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا النجاح يأتي من استراتيجيّة صدقة في توفير الجوّ الملائم لنشر التعاليم الشيعيّة. ولكن ماذا كانت هذه الاستراتيجيّات ؟ وماذا كانت وظيفتها في ذلك الوقت؟.

للإجابة عن هذا السـؤال نُشـير إلى اسـتراتيجيّات صدقة لنشر الثقافة الشيعيّة.

٢-١- الحلّة، اختيار صحيح

من أهمّ الأعمال والاستراتيجيّات التي اتّخذها صدقة لنشر الثقافة الشيعيّة هـو الاختيـار الصحيـح للحلّة في سـنة ٤٩٥ هـ بوصفها عاصمـة لآل مزيد ومركزًا رسميًّا لنشر التَّشَيُّع.

ومنذ بداية سـنة ٤٩٥ هـ، سيطر آل مزيد على أجزاء مختلفة من الفرات الأوسط ، ولكن لم يحاول أيّ من الأمراء إنشاء مركز رسمي لنشر الشيعة.

وكان صدقــة وحده هو الذي اختار الحلّة عاصمة لآل مزيد وقاعدة للشــيعة بحنكته السياســيّة[٢٣]. ولا شــكّ في هذا الاختيار بين علماء التاريخ، ويتّفق الجميــع علــى أنَّ صدقةَ اختار الحلّــة لأوَّل مرَّة عاصمة لبني مزيد ســنة٤٩٥ هـــ[٢٤]. وهناك جدل حول بناء الحلّة[٢٥]. وبالنظــر إلى أولويّة المصادر في نقل الأخبار، فإنّ ابن الحوزي هو أوّل شــخص يشــير إلى إعمار الحلة في أعقاب أحداث العام ٤٩٥هـ[٢٦].

ويشير ياقوت الحموي إلى أحداث محرّم ٤٩٥ هـ، مُشيرًا إلى عدّة مناطق كان اســمها الحلّــة، كما يكتب عــن حلّة بني مزيد، ويكتــب أنّ منازل عشيرة بني مزيد كانت في النيل، وعندما كان صدقة بن منصور في السلطة وحصل على ممتلكات، في ســنة٤٩٥ هـ ذهب إلى منطقة تســمّى الجامعين في غرب الفــرات، والتي كانت من قبلُ مكانًا للحيوانات والســباع، وبنى الحلّة في تلك المنطقة[٢٧].

وأشــار ابــن الأثير إلى دور صدقــة في بناء الحلّة في أعقاب حوادث ســنة ٤٩٥هـ [٢٨] لكن لا يبدو أنّ هذا الكلام صحيح؛ لأنّه يذكر حلّة بني مزيد في أكثر الأحيان عند ذكر أحداث ســنة ٤٢٠ فصاعدًا، وهذا يدلّ على أنّه قبل سنة ٤٩٥ هـ، كان هناك منطقة باسم الحلّة. وبالنسبة لتقرير الحَمَوي، الذي هو مصدر أخبار بعض الجغرافيّين والمؤرّخين، يمكن أيضًا التشكيك فيه؛ لأنّه ذكر في مكان آخر في كتابه أنّ دبيس بن مزيد هو مؤسّس الحلّة فــي ٤١٩ هـ، لذلك[٢٩] علــى وفق الروايات المختلفة عن بنــاء مدينة الحلّة، يمكن القول إنّ الحلّة أُنشــئت قبل اختيار صدقــة بن منصور المدينة عاصمةً لآل مزيــد، إذ لا تفصل أكثر من ســت ســنوات بين اختيــار الحلّة عاصمةً واستشــهاد صدقة، ومن غير المرجّــح أنّه في هذه المدة القصيرة، ســتتحوّل

منطقة الجامعين، التي كانت مكانًا برّيًّا مملوءًا بالحيوانات، إلى مدينة ضخمة تسمّى الحلة. وفضلًا عن ذلك، تُشير المصادر الجغرافيّة والتاريخيّة إلى أنّ الجامعين كانت ناحية بهذا الاسم بجوار نهر سورا وكانت تتكوّن من الجامع القديم (شرق سورا) والجامع الجديد (غرب سورا) ، وكانت منطقة حضريّة وخصبة أسّسها خالد بن عبدالله (١٠٥- ١٢٠هـ) وكان فيها قاضٍ ومخيّم عسكري وسوق.

وتقول المصادر إنَّ بني مزيد عاشوا في خيام عربيّة حتّى سنة٤٩٥هـ[٣٠] .

وهكذا يمكننا أن نستنتج أنّه منذ سنة٤١٩ إلى ٤٩٥هـ نصب بنو مزيد خيامهم أوّلًا في ريف الجامع الجديد (غرب نهر سورا) واشتهرت الحلّة المذكورة باسمهم، وبالتدريج، مع تطوّر حلّة بني مزيد ، سمّيت مدينة الجامعين القديمة باسم الحلّة وأصبحت مدينة رئيسة في العراق. بدأت مسيرة الحلّة بوصفها عاصمة لحكومة صدقة بن منصور بين ٤٩٠ و ٤٩٥هـ وكانت تنافس بغداد في تلك المدة[٣١] .

وعلى كلّ حال، سواء أُسِّسَتِ الحلَّة في عهد صدقة أو دبيس فقد كانت ذروةُ ازدهارها في عهد صدقة عندما أصبحت عاصمة لبني مزيد. ولاختيار هذه المدينة عاصمةً أهمّيةٌ كبيرة ممّا يُشير إلى بصيرة صدقة الصحيحة في اختيار العاصمة. وتعود أهمّية الحلّة وتشكيلها لمكان مناسب لممارسة فعّاليّات التشيّع للأسباب الآتية:

أ- المياه العذبة

الماء هو مصدر الحياة وهو العامل الرئيس لتكوين الحضارة، وتبيّن دراسة تاريخ الحضارات أنّ الحضارات الأولى نشأت بجوار مصادر المياه. ولم يكن ظهور مدينة الحلّة واستمراريّة حياتها الحضريّة استثناءً، فكان تطوّر المدينة

مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالمياه. وكانت المدينة مرويّة بشبكة كبيرة من الروافد المتفرّعة عن نهر الفرات[٣٢] وفي الأراضي الزراعيّة المحيطة بها ، ومن ثَمَّ أنتجت مختلف أنواع المحاصيل مثل العنب والحبوب والتمر ... وصُدِّرَتْ إلى أماكن أخرى، بما في ذلك بغداد ، من أجل تلبية احتياجات السكّان المحلّيّين[٣٣]. كانت الإيرادات الناتجة عن المحصايل الزراعيّة تعود إلى المدينة ، فاستفادَ الناس منها الدخل وكذا الحكّام، ولاسيما الأمير صدقة بن منصور، فكانوا يقومون باستعمال تلك العوائد لتوسيع الثقافة الشيعيّة. ومن الواضح أنّ الوضع المناخي، ولا سيَّما المياه الوفيرة[٣٤] والعذبة[٣٥] ، أدَّتْ دَورًا مُهِمًّا في تحقيق أهدافِ صدقة؛ لأنّه إذا كان لدى الحكومة وضع اقتصادي ضعيف في عهد صدقة ، فإنَّ القوى المنافسة لن تكون عاجزة عن اتّخاذ خطوات أساسيّة في مختلف المجالات فحسب، بل كان ستَقضي عليها منذ البداية.

ب- المناخ المعتدل والنظيف

فضلاً عنِ المياه، فإنَّ الطقسَ المعتدل والطبيعة الجميلة كانت ذات تأثير إيجابي في تعزيز الصحّة الجسديّة والروحيّة والتنمية الذهنيّة والعقليّة لسكّان الحلّة ، إذ وفَّرَت الجوَّ الملائم لجذب أصحاب الفكر وتحفيزهم على الحضور إلى الحلّة؛ لذا سافر علماء مختلفون من جميع أنحاء العالم الإسلامي إلى الحلّة وعادوا إلى مُدُنهم بعد دراستهم للعلوم ، ووفَّروا الجوَّ المناسبَ لِنَشْرِ الثقافَةِ الشِّيعيَّةِ في أثناء حُكْم صدقة[٣٦].

ج- الموقع التجاري

نقطة القوة الأخرى التي أدَّتْ دورًا مهمًّا في تعزيز الأساس الاقتصادي لحكومة بني مزيد ، ولاسيما في عهد صدقة ، أَنَّ الحلةَ كانتْ تقع على ملتقى الطرق البحريّة والبرّيّة والتجاريّة. ومن أفضل الطرق البرّيّة إلى بغداد

كان طريق الحلّــة بغداد. لكن الطريق الأكثر أهمّيّة لتطوير التجارة كان طريق الفرات النهري الذي كان يمرّ بجوار الحلّة وكان التجّار يتوجّهون عبر هذا الطريق المائي إلى الخليج العربي.

من ناحية أخرى، فقد استمرّ طريق الفرات من الشمال إلى الشام، وكان بإمكان التجّار ورجال الأعمال نقل بضائعهم بســهولة أكبر بالطرق المائيّة. تأثّــر وصــول ومغادرة رجال الأعمال فــي الحلّة بالوضع الاقتصــادي للمدينة وســاعد على تعزيز القاعدة الاقتصاديّة للدولــة في عصر صدقة، إذْ أمكنَهُ استعمال العائدات لتحقيق أهدافه. وبصرف النظر عن التجّار، كان يمكن لحجّــاج بيت اللّه، وكذلك العتبات المقدّسّــة، اســتخدام طريق الحلّة المائي والبرّي، وكان لهذا الأمر دور فعّال في تعزيز اقتصاد الحلّة[٣٧].

٢-٢- شخصيّة صدقة

علــى الرغم من أنَّ الوضــع الاقتصادي المرغوب، والدخــل المرتفع، وثروة أســر الحكّام، شــرط ضروري للتنمية في مختلف المجــالات، ولكنّه ليس شــرطًا كافيًا ، فطوال تاريخ الإسلام، كان هناك العديد من الشخصيّات السياســيّة التي كانــت ثريّة، ولكنّها لم تكن تتّخــذ خطوات كبيرة نحو تطوير الإســلام والشــيعة، بل علــى العكس، فإنّ بعضًا منهــم قد غرق في الفساد والكماليّات باستغلال قوّتهم وثروتهم.

ومع ذلك، لم يكن صدقــة حاكمًا مثل هؤلاء الحكّام، ويمكن القول إنّه من بين الشــخصيّات التاريخيّة في العالم الإســلامي، وبصرف النظر عن الأئمّة الشــيعة، نادرًا ما كانت هناك شــخصيّة تشبه صدقة من جهةِ الحياة والأسلوب، وأنّ النقاط البارزة والأخلاق الحميدة بصفتها استراتيجيّة أساسيّة

لعبت دورًا كبيرًا في جذب العلماء والباحثين إليه ، وتكوين جوّ مرغوب بهِ في الحلّة من أجل توسيع نطاق الثقافة الشيعيّة ونشرها. وقد وصفَهُ ابن الأثير بقولهِ: «كَانَ جَوَادًا ، حَلِيمًا ، صَدُوقًا ، كَثِيرَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، مَا بَرِحَ مَلْجَأً لِكُلِّ مَلْهُوفٍ، يَلْقَى مَنْ يَقْصِدُهُ بِالْبِرِّ وَالتَّفَضُّلِ، وَيَبْسُطُ قَاصِدِيهِ، وَيَزُورُهُمْ، وَكَانَ عَادِلًا ، وَالرَّعَايَا مَعَهُ فِي أَمْنٍ وَدَعَةٍ ، وَكَانَ عَفِيفًا لَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَى امْرَأَتِهِ، وَلَا تَسَرَّى عَلَيْهَا ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ هَذَا؟ وَلَمْ يُصَادِرْ أَحَدًا مِنْ نُوَّابِهِ، وَلَا أَخَذَهُمْ بِإِسَاءَةٍ قَدِيمَةٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُودِعُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي خِزَانَتِهِ، وَيُدِلُّونَ عَلَيْهِ إِدْلَالَ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِرَعِيَّةٍ أَحَبَّتْ أَمِيرَهَا كَحُبِّ رَعِيَّتِهِ لَهُ ، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا ، مُحْتَمِلًا ، يَحْفَظُ الْأَشْعَارَ ، وَيُبَادِرُ إِلَى النَّادِرَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، لَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الدُّنْيَا»[٣٨] .

وذكر ابن الجوزي هذه المناقب مع القليل من الاختلاف قائلًا: «كان كريمًا ذا ذمام ، عفيفًا عن الزنا والفواحش ، كأنَّ عليه رقيبًا من الصيانة ، ولم يتزوَّج على زوجته قطُّ ، ولا تَسَرَّى ، وقيل إنّه لم يشرب مُسكرًا ، ولا سمع غناءً ، ولا قصد التسوّق في طعام ، ولا صادر أحدًا من أصحابه ، .. وكانت داره ببغداد حرم الخائفين"[٣٩].

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الصفات ساعدت في ممارسة أنشطة نشر الثقافة الشيعيّة ، لأنّ شخصيّته كانت نموذجًا مناسبًا للأفراد من ناحية ، وكانت توفّر الجوّ الملائم لاستقطاب العلماء والمفكّرين إلى الحلّة.

٢-٣- الأمن والعدالة

كانت استراتيجيّة الأمن والعدالة من الاستراتيجيّات الأخرى لنشر المذهب

الشـيعي في منطقة آل مزيد. ولمْ يكن الوضعُ الاقتصادي المواتي وشـخصيَّة الأمير صدقة السـببَ في ازدهار أنشـطة نشر الثقافة الشـيعيّة، بل يضافُ إليهما الأَمنُ الذي أَوجدَهُ الأميرُ ، فقد ورد في المصادر التاريخيَّة، ولا سـّيما الكامـل لابن الأثير، حدوث الفتنة بين سـكَّان بغـداد، ولكن في الحلّة، وفي ضوء الإدارة القويَّة والاسـتراتيجيَّة لصدقة، لم تَرد تقارير عن صراعات وفتن بين السكّان، في حين أنَّ كثيرًا من الأقليّات المختلفة كانتْ تعيشُ في هذه المدينة ، وممَّا لا شـّك فيه أنّ الأمن المستقرّ الذي أقامه صدقة في الحلّة لعب دورًا كبيرًا في توجيه التجَّار والعلماء والشعراء وغيرهم إلى الحلَّة، وقد سـاعد هؤلاء النُّشطاء في الاسـتراتيجيّة الرئيسة لصدقة، وهي نشر الثقافة الشيعيّة. وفضلًا عن ذلكَ به فقد اهتمَّ صدقة اهتمامًا خاصًّا بنشر العدالة.

وفي عهده لمْ يُفقَد الأمن بسـبب سـيطرة الأتراك السـلاجقة على أجزاء كبيـرة من العراق فحسـب، التي قُمِعَ فيهِ عددٌ كبيرٌ مـن الناس وتعَّرضُوا للظلـم. في ظلِّ هـذه الظروف، كانت الحلَّـةُ مَلاذًا للَّاجئـين من اضطهاد السَّـلاجقة[٤٠] ، وبالتأكيد فإنَّ هذه الاسـتراتيجيَّات التي اتَّخَذَهَا صدقة، بما فيها الأمن والعدالـة، كانت عاملَ جذب خاصّ، ولم يكن قدوة للرعيَّةِ فَحَسب، بل وَفَّرَ أَيضًا الأساس لانتشار الثقافة الشيعيَّة.

٢-٤- الصبر ومداراة الأقليّات الدينيّة والفئات العِرقيّة المختلفة

ومن الاسـتراتيجيّات المهمّة الأخرى لصدقة في مناطق آل مزيد هي إقامة علاقة جيّدة وبعيدة عن العنف مع الأقليّات الدينيّة والقبائل.

وكان في الحلّة وحولها العديد من القبائل مثل الأكراد والعرب والأتراك والفُـرس[٤١]، ومن جهة عددِ السـكّان، كان العرب وقبيلة بني أسـد، ثمّ بنـي خفاجة وبني عبادة وبني عقيل هم الأكثـر[٤٢] ، جنبًا إلى جنب مع هذه

الفئات، كانت تعيش أقليّات دينيّة. وقد شكَّلَ اليهودُ الأقليَّة الدينيّة الأكبر في الحلّة وكانوا يعملون في التجارة والطبّ والشؤون الحكوميّة[٤٣] ويقيمون بالقرب من قبر حزقيال النبيّ[٤٤] ، وكان لهم أربعة معابد مقدّسة[٤٥].

وفضلاً عن الأقليّة اليهوديّة عاش المسيحيّون أيضًا في الحلّة، ولكنّهم كانوا أقلّ عددًا من اليهود. عاش المسيحيّون في محلّة جب[٤٦].

ووفقًا للمصادر التاريخيّة، لم يتمّ الإبلاغ عن أيّ صراعات وفتن بين الأقليّات الدينيّة والمسلمين في الحلّة. وبالنظر إلى حقيقة أنّ مدينة الحلّة كانت في الأساس مدينة شيعيّة، فإنّ نوعَ العلاقات الشيعيّة مع الأقليّات جدير بالإعجاب، وهذه علامة على استراتيجيّة مهمّة اتّخذها صدقة في ضبط النفس والتسامح وتبنّي سياسة معقولة لجذب الإثنيّات والأقليّات داخل المدينة وحولها.

٢-٥- دعم الأسر (الشعراء والعلماء)

كنَّا قد أشرنا إلى أنَّ صدقةَ وفَّرَ الجوَّ الملائم لنشر الثقافة الشيعيّة. ولم يمهّد الطريق أمام دخول الشعراء والكتاب والعلماء إلى الحلّة فحسب، بل قدّم لهم الدعم بشدّة ، إذ كانت الحلّة في عصره وجهة الشعراء والكُتّاب والعلماء والحركات العلميّة في الحلّة التي امتدّ تأثيرها لبضعة قرون في العالم الإسلامي[٤٧] ، وقد أسّس صدقة في الحلّة مكتبة كبيرة تضمّ الآلاف من الكتب[٤٨] ووضعها تحت تصرّف العلماء والشعراء ومحبّي العلم والأدب ، وقد استعملتْ هذه المكتبة بعضُ الأسر الشيعيّة البارزة.

كانت تعيش في الحلّة عائلاتٌ شيعيّة شهيرة، وكان لبعضها، بدعم من صدقة، دور مهم في توسيع الثقافة الشيعيّة. ومن أهمّ هذه العائلات التي كانت في ذلك الوقت من نشطاء الشيعة إلى جانب عائلة آل مزيد،

آل بطريق، وآل أعرج، وآل سعيد، وآل مطهّر، وآل معينة، وآل طاوس، وآل نما وآل سعيد[٤٩]. وعلى الرغم من تنوّع الأنشطة في مختلف المجالات، فقد كانت هذه الأسر تتمتّع بخلفيّة علميّة قويّة وكان لها تأثير كبير في تنمية وتطوير ثقافة الشيعة، وممّا لا شكّ فيه أنّ أنشطة هذه العائلات دعمها صدقة وأمراء آل مزيد في الحلّة.

وإلى جانب دعم العائلات، كان لصدقة اهتمام خاصّ بالشعراء. وفي عهده أصبحت الحلّة واحدة من أهمّ مراكز الشعر والأدب في العراق، وسافر شعراء من أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي إلى الحلّة، واستقرّ بعضهم في هذه المدينة، وبعضهم عاد إلى موطنه بعد مدة طويلة من الإقامة في الحلّة ونشروا قصائدهم التي كانت مليئة بالمواضيع الشيعيّة في العالم الإسلامي في تلك الأيام. ليس من الممكن ذكر جميع الشعراء في هذا البحث، وربّما يمكن ذكر السنبسي بصفتهِ أحد أشهر الشعراء الذين ذهبوا إلى صدقة قبل بناء مدينة الحلّة وعاش فيها بعد بنائها. ونظم الشعر بمضامين شيعيّة زيادة على ذكر الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة لعصر بني مزيد.

وفضلًا عن الشعراء فقد مارس العلماء والأدباء فعّاليّاتهم في الحلّة وتمتّعوا بإكرام سيف الدولة ، ومن أهمّ الشخصيّات التي عاشت في الحلّة يمكننا الإشارة إلى أبي الفوارس المعروف بحَيص بَيص، ومرجا بن بتّاه، وابن واثق الأنباري، ويحيى بن تلميذ أفضل الدولة الأبيوردي ، وغيرهم[٥٠].

ومع ذلك، فإنّ أعمال أمراء بني مزيد في الحلّة ولا سيّما صدقة قد قُدِّمَتْ بوصفها مصدرًا للحركة الفكريّة والأدبيّة الإسلاميّة العظيمة، ممّا أدّى إلى طفرة كبيرة في مجال الشعر ومحو الأمّيّة، فضلًا عن تطوير جيل جديد من الشعراء والكُتّاب والأدباء والكبار في النحو واللغة العربيّة، والذين ألّفوا

العديد من الكتب والقصائد التي كانت ذات مضامين شيعيّة، وانتشرت هذه الأعمال في جميع أنحاء العالم الإسلامي وعزّزت الأدب الشيعي. فضلًا عن ذلك، هاجر الأدباء والشعراء إلى مناطق أخرى فأسهموا في نشر الأدب الحلّي في تلك المناطق[٥١].

٢-٦- مَلاذ المظلومين وشهادة صدقة

وهناك استراتيجيّة أخرى اتّخذها صدقة ولعبت بشكل غير مباشر دورًا مهمًّا في تطوير الثقافة الشيعيّة وهي دعمه للمُضطهدين ضدّ الظالمين. ومن الواضح في الثقافة الشيعيّة وجوب الوقوف ضدَّ الظالمين والدفاع عن المظلومين، وهذه الميزة واضحة في صدقة ، وتُعَدُّ من جوانبه الإيجابيَّة، حتّى أنّ منزله في بغداد كان الملاذ الآمن لجميع الذين لجؤوا إليه هربًا من قمع الحكّام.

وفي أثناء حُكومة صدقة كانت الحلّة منزلًا للمسافرين ومَلاذًا لليائسين والمطرودين والهاربين والخائفين. وخلال حياة صدقة، لجأ كثيرٌ من الناس، مثل مؤيّد الدولة ابن نظام الملك، وأبي مظفّر محمّد بن أحمد رئيس مكتبة النظاميّة، وأبي القاسم علي بن جهير[٥٢] إلى الحلّة للحصول على حماية صدقة، إذ قدَّم الحمايةَ لهم.

ومن المؤكّد أنّ استراتيجيّة صدقة كانت تتمثّل في إيواء بعض الشخصيّات، بما في ذلك الشخصيّات السياسيّة لأجل تحقيق أهدافه في نشر ثقافة الشيعة. صحيح أنّ جميع الذين لجؤوا إلى صدقة لم يكونوا شيعة، لكن استراتيجيّات صدقة في منحهم الحماية والأمان أعطته صورة إيجابيّة ساعدته على تحقيق أهدافه، والأهمّ من ذلك أنّ بعض طالبي اللجوء

حصلوا على مناصب سياسيّة في بلاط محمّد تبر في وقت لاحق. أحد هؤلاء الأشخاص هو مؤيّد الملك ابن نظام الملك، الذي لجأ إلى صدقة خوفًا من بركيارق، وأصبح فيما بعد وزير السلطان محمّد.

من بين جميع اللاجئين إلى صدقة، كان هناك شخص واحد أثّر أكثر من الآخرين في العلاقة بين السلطان محمّد وصدقة ووفّر الظروف الملائمة لشهادته، وهو أبو دلف سرخاب بن كيخسرو الحاكم الشيعي لآوه وساوه. أراد السلطان محمّد من صدقة تسليم سرخاب، لكن صدقة لم يقبل طلب السلطان السلجوقي وأجاب قائلاً: أنا لن أستغلّه في السلطة، لكنّني سأحميه كما أقول نفس الشيء الذي قاله أبو طالب عندما طلبوا منه تسليم النبي محمد (عليه وآله الصلاة والسلام) إلى أهل قريش فقال[٥٣] :

ونسلمه، حتّى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

يعكس هذا الموقف قوّة الأمير المزيدي، وعندما تلقّى السلطان محمّد هذه الرسالة، قرّر الحدّ من سلطة السلالة المزيدية. في غُضون ذلك، حرّض كثير من الناس السلطان السلجوقي ضدّ صدقة. وكان أحدهم أبو جعفر ابن حسين البلخي، الذي أخبر السلطان السلجوقي بأنّ موقفَه صار أقوى وأصبحت وقاحتُه كبيرة لدرجة أنّ أيّ شخص يفرّ من السلطان يلجأ إليه ويَحظَى بحمايته. هذه الأشياء لا يمكن تحمّلها من الملوك حتّى لو حدثت من أولادهم، فنصح الحاكم السلجوقي بأنه من الأفضل أن ترسل مجموعة من الناس للاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم[٥٤] .

وقد واصل أبو جعفر بن حسين البلخي هذا الذمّ وتجاوز حدودَه إلى الطعن باعتقادات صدقة، ونسب إليه وإلى أهالي مدينته المذهب الباطني، لزيادة التحريض ، في حين أنَّ سيف الدولة كان شيعي المذهب[٥٥] .

وبغضِّ النَّظَر عن حقيقة أَنَّ الحلَّةَ كانت ملجأً لمعارضَةِ حكومةِ السلاجقة، فإنَّ ما أدَّى إلى استشهاد صدقة لم يكنْ تقديم الحماية والدعم، بل القوّة العُظمى لهُ التي لم يتحمَّلها الحاكم السلجوقي، فقد تمكَّنَ بعد تمرُّده على بركيارق سنة٤٩٤ هـ وتأييد السلطان محمّد، من السيطرة على مُدُن مثل واسط[٥٦] وهيت والبصرة[٥٧]، فضلًا عن الحلَّة وضواحيها، فزادتْ قوَّتُهُ يومًا بعد يوم.

وبعد وفاة بركيارق سنة٤٩٨ هـ، أصبح السلطان محمّد زعيم حكومة السلاجقة بلا مُنازع، ولم يتمكّن من تحمّل وجود أيّ سلطة أخرى في منطقة السلاجقة، وقد أدّى تحريض خصوم صدقة وأعدائهِ الذين كانوا في البلاط السلجوقي، إلى إذكاء نار الصراع بين الجانبَين. وقد كان صدقة على علم بتحريض الخصوم، فقال: لقد زرع مُرافقو السلطان الفتنة بيننا، وغيّروا موقفه نحوي، ودمَّروا المحبّة التي كان يقدّمها لي". وزادت هذه المؤامرات عندما كان السلطان السلجوقي يَنوي إرسال شخص إلى صدقة لجلب طاعته، لكن الحسدة لم يهدأوا، وقال السلطان محمد: "إنّ صدقة لا يقبل كلامنا، ولا مناص من مواجهته"[٥٨]، ثمَّ تحرَّكَ السلطانُ بعد سماع هذه الكلمات نحو الحلّة. قبل وصول المعلومات المتعلّقة بحركة الجيش السلجوقي نحو الحلّة، كان يستعدّ صدقة لإرسال ابنه البكر مع كثير من الهدايا إلى السلطان السلجوقي لطلب المعذرة، لكنّه أدرك أنّ الجيش يعتزم مواجهته. كان سيف الدولة قد بلغ من القوّة درجة تجعله قادرًا على إرسال جيش مجهّز إلى معركة السلاجقة، وحتّى أنّه هزم الجيش السلجوقي في المواجهات الأوّليّة، ولكن في النهاية علق حصانه في الوحل، وأصابه سهم من جيش العدوّ في ظهره، فقام غلام اسمه بزغش بإسقاطه عن الحصان وفصل رأسه عن جسده وإرساله إلى السلطان محمّد. وقع هذا الحادث في

التاسع عشر من رجب سنة ٥٠١ هـ ودُفِنَ جُثمان صدقة في كربلاء[٥٩] .

الخاتمة

إنَّ هيمنةَ طُغرل السلجوقي على الأمير البُوَيهي الأخير- في بغداد سنة٤٤٧ هـ- نقطة تحوّل في تاريخ المذهب الشيعي، لأنَّ الشيعةَ بعد سيطرة السلاجقة على العراق تعرَّضُوا للغزو، وأغلقت الحوزة العلميّة الخاصة بهم في بغداد، واضطرَّ بعضُ العلماء الشيعة إلى مغادرة بغداد إلى مُدُن أخرى كالنَّجف الأشرف.

وقد كانتِ الحوزةُ العلميَّة في النجف نشطةً منذ فترة طويلة ، ونَجَتْ على الرّغم من ضغوط الحُكَّام السنَّة في العراق، ولكنَّها خَسَرتْ ازدهارَها- للأسف - بعدَ وفاة أبي نصر الطُّوسي، فقصد الطلَّاب مناطقَ أُخرى، بضمنها الحلَّة، ففيها وفَّرَ الأَميرُ سيفُ الدولة ظروفًا مناسبة لتوسيع الثقافة الشيعيّة، والاستراتيجيّات التي اعتمدها لعبت دورًا مهمًّا في استقطاب العلماء والمفكّرين والشعراء إلى الحلّة.

من أهمّ الاستراتيجيّات التي اتّخذها صدقة في أراضي آل مزيد في ظروف الفوضى التي كانت سائدة في تلك الأيّام في الحلّة، إيواء المُضطهدين الهاربين من ظلم الحُكّام ، وكانت الحلّة ملجأً لهم، وأنّ شخصيّة صدقة، والموقع الجغرافي المناسب والمناخ المعتدل، ودعم صدقة للعلم والمعرفة ولاسيما العلوم الشيعيّة وإنشاء مكتبة، هي من العوامل التي لعبت دورًا مُهمًّا في نشر الثقافة الشيعيّة. وقد شكّلت هذه الاستراتيجيّات المنصّة المناسبة لتأسيس الحوزة العلميّة في تلك المدينة، إذ أتت الاستراتيجيّات المعتمدة منذ منتصف القرن السادس الهجري ثمارها ، وأصبحت المدينة مكانًا لتجمّع كثير من الباحثين والعلماء والشعراء ، واستمرّت أنشطتُهم حتّى تأسيس الحكومة الصفويّة الشيعيّة.

الهوامش:

١-المناقب المزيدية ١٥..

٢- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٢١.

٣- تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٥٣٨.

٤- المصدر نفسه ٤/ ٤٥.

٥- بغية الطلب في تاريخ حلب ١/ ٥٣٤.

٦- وقعة صفّين ١١٧.

٧- الغارات ١/ ٣٢٣- ٣٢٤.

٨- تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٥٥.

٩- بغية الطلب في تاريخ حلب ١/ ٥٣٤.

١٠- تاريخ الحلة ١/ ١٣.

١١- المنتظم ١٧/ ٢٠٧.

١٢- الكامل في التاريخ ٩/ ٢٤٢.

١٣- الإمارة المزيدية ١٢١.

١٤- ديوان المبتدأ والخبر ٣/ ٥٦٣.

١٥- الكامل في التاريخ ٩/ ٥٧٦ ، البداية والنهاية، ١٢/ ٦٣.

١٦- تاريخ مختصر الدول ١٩٢، الكامل في التاريخ ١٠/ ١٥١.

١٧- تاريخ إيران ٥/ ١٠١.

١٨- النقض المعروف ببعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض ٤١.

١٩- سلجوقيان ٩١.

٢٠- الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٢٦.

٢١- المصدر نفسه ١٠/ ٢٦٠.

٢٢- المصدر نفسه، ١٠/ ٣٠٨-٣١٠.

٢٣- تشيُّع و تصوُّف ٨٧.

٢٤- الإمارة المزيدية الأسدية ٢٩٨.

٢٥-*George Makdisi, Notes onilla and the Mazyadids in Medieval Islam*,٢٤٩-٢٦٢.

٢٦- المنتظم ١٧/ ٧٦.

٢٧- معجم البلدان ٢/ ٣٣٨.

٢٨- الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٥١.

٢٩- معجم البلدان ٢/ ٣٧٤.

٣٠- الكامل في التاريخ ١٦/ ٤٠٥.

٣١- جغرافیای تاریخی حلّه، بستر شکوفایی مدرسه حله در دوره ایلخانی، ٣٩-٥٦.

٣٢- مدينة الحلّة الكبرى ١٣.

٣٣- جغرافیای تاریخی حلّه، بستر شکوفایی مدرسه حله در دوره ایلخانی، ٣٩-٥٦.

٣٤- المسالك والممالك ٨٦.

٣٥- مزیدیان و نقش آنان در گسترش تمدن اسلامی ٦١-٨٢.

٣٦- زندگی و اندیشه های ابن ادریس ٥٠.

٣٧- رحلة ابن جبير ١٨٩-١٩٠.

٣٨- الكامل فى التاريخ ١٠/ ٤٤٩.

٣٩- المنتظم ١٧/ ١١١.

٤٠- تاريخ الحلّة ١/ ٢٤.

٤١- الحوزة العلمية في الحلة ٣١٠-٣١١.

٤٢- تاريخ الحلّة ١/ ٩.

٤٣- الحياة الفكرية في الحلّة ٣٤.

٤٤- الحلّة في العهد الجلائري ١١٨.

٤٥- الإشارات إلى معرفة الزيارات ٧٦.

٤٦- الحياة الفكرية في الحلّة ٣٤.

٤٧- تاريخ الحلّة ١/ ٤.

٤٨- الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٤٨.

٤٩- الحوزة العلمية في الحلّة ١٥٦-١٧٢.

٥٠- تاريخ الحلّة٢/ ٥-٦..

٥١- مزيديان و نقش آنان در گسترش تمدن اسلامى ٦١.

٥٢- تاريخ الإسلام ٣٤/ ٨٠.

٥٣- الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٤١.

٥٤- المصدر نفسه ١٠/ ٤٤٠.

٥٥- نهاية الأرب ٢٠٩-٢١١.

٥٦- البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

٥٧- ديوان المبتدأ ٤/ ٣٦٣.

٥٨- زبدة التواريخ ١٦٩.

٥٩- المنتظم ١٧/ ١٠٨.

المصادر والمراجع

١-الإشارات إلى معرفة الزيارات، علي بن أبي بكر الهروي، دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٥٣م.

٢-الأغاني، أبوالفرج الأصفهاني، القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت.

٣-الإمارة المزيدية الأسدية في الحلّة دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، عبدالجبار ناجي، قم: ١٤٣١هـ.

٤-البداية و النهاية، ابوالفداء بن كثير، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م.

٥-بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تحقيق: د. سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، د.ت.

٦-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق:د. عمر عبدالسلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربية، ١٩٩٣م.

٧-تاريخ الأمم والملوك، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، بيروت: دار صادر، ١٩٦٧م.

٨-تاريخ الحلّة، يوسف كركوش الحلّي، ط ١، النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٥م.

٩-تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس بن العِبري، تحقيق أنطوان صالحاني اليسوعي، بيروت: دار الشرق، ١٩٩٢م.

١٠-تاريخ إيران، ك. آ. باسورث، ترجمه حسن أنوشه، طهران: ١٣٨٠هـ

١١-تشيُّع و تصوُّف، كامل مصطفى الشيبي، ترجمة عليرضا ذكاوتي قرلگزلو، طهران: أميركبير، ١٣٥٩م.

١٢-الحلّة في العهد الجلائري، بيداء عليوي هادي، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، ٢٠٠٩م.

١٣-الحوزة العلمية في الحلّة نشأتها وانكماشها الأسباب والنتائج، عبدالرضا عوض، الحلّة: دار الفرات، ٢٠١٣.

١٤-الحياة الفكرية في الحلّة خلال القرن التاسع الهجري، د. يوسف الشمري، النجف الأشرف: دار التراث، ١٤٣٤هـ

١٥-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م.

١٦-رحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، بيروت: دار صادر، د.ت.

١٧-زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني، تحقيق محمد نورالدين، بيروت: دار إقرأ، ١٩٨٥م.

١٨-زندگی و أنديشه هاى ابن إدريس، على همت بناري، قم: بوستان كتاب، ١٣٨١هـ

١٩-سلجوقيان، ك. آ. باسورث، ترجمه يعقوب آژند، طهران: مولى، ١٣٨٠هـ

٢٠-الغارات، إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي، تحقيق جلال الدين المحدث الأُرمَوي، طهران: أنجمن آثار ملي، ١٣٩٥هـ

٢١-الكامل في التاريخ، عزالدين ابن الأثير، بيروت: دار صادر، ١٩٦٥م.

٢٢-مدينة الحلّة الكبرى وظائفها وعلاقتها الإقليميّة، د. محمد صباح محمود، بغداد: مكتبة المنار، ١٩٧٤م.

٢٣-المسالك والممالك، إبراهيم بن محمد الإصطخري، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م.

٢٤-معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

٢٥-معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة، عمر رضا كحالة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧.

٢٦-المناقب المزيدية فى أخبار الملوك الأسديّة، أبو البقاء هبة الله الحلّي، تحقيق صالح موسى درادكة ومحمد عبدالقادر خريسات، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، د.ت.

٢٧-المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٢٨-النقض المعروف ببعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض، عبدالجليل القزويني، باهتمام مير جلال الدين الحسيني الأُرمَوي، طهران: أنجمن آثار ملى، ١٣٥٨هـ

٢٩-نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهّاب النويري، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

٣٠-وقعة صفّين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠م.

الدوريات

٣١-جغرافياى تاريخى حلّه، بستر شكوفايى مدرسه حلّى در دوره ايلخانى، محمد حاجي تقي، مجلة تاريخ ايران، بهار ١٣٨٨هـ

٣٢-مزيديان و نقش آنان درگسترش تمدن اسلامى، احمد رضا خضرى، مجلة مطالعات تاريخ اسلام، بهار ١٣٩٢هـ